

ثلاثة قصاصين من سوريا

- « العالم المسحور » بقلم محمد حيدر . دار الشروق ، دمشق ، ١٩٦٢
 « قصص » بقلم وليد اخلاصي . دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣
 « ربيع في الواد » بقلم زكريا نامر . دار الفن الحديث العالمي ، دمشق ، ١٩٦٣

امامها ، ان يدعها تداعب شعره وتباركه ، لانها
 ايقظت فيه انساناً جديداً .

اما بطل محمد حيدر في اقصوصته « العالم
 المسحور » التي سميت المجموعة باسمها ، فهو يؤكد
 لنا بواسطة أعتراه لجارته انه فعلا كان بحاجة
 لامرأة تنفذه من ورطاته المتعددة مع العالم
 الخارجي ، وتركع امامه وتبوح لها بخبها وهيامها .
 ولكن ما ان يتال تلك المرأة « ابنة الجارة »
 حتى يجرها . ولتسمع بطل « العالم المسحور » وهو
 يدري باعتراه لجارته : « السبت والجمعة وخمسة
 ايام اخر ورفاقي (وانا ابدل الاصدقاء بسرعة)
 والبيت الذي سكنته وانا اضح المفتاح في القفل ،
 كله لا يتبدل والصور لم تغير مكانها على الجدران
 والارائك الفارغة كالومياء المرصوفة » . ثم يتابع
 نسج اللوحة التي تشبه لحد ما « الحديقة المملة في
 لوحة زيتية » لوليد اخلاصي . لكن هذا الملل
 وهذه الرقابة يزولان بمجرد ان تبسم له ابنة
 جارته ، ومن عينها يطل ندى الحنان الصامت
 هجر البطل العاشق الرفق والاصدقاء والعريضة
 في الشوارع واخذ يجرع من الحب والحنان حتى
 « تيقظ المارد واستفاقت الاشباح فشمعت بحنين
 للماضي ، للفراغ والصفى والتشرد والسكر » .
 ولكن محمد حيدر لم يترك ظللا حول هذا المارد
 الذي استيقظ ليشرح لنا ماهيته . لكن عندما
 تتكرر هذه المعاناة - والتكرار واضح في

الحب والعنف والحياة ، عجلات ثلاث تجري
 عليها حوادث هذه المجموعات الثلاث . ولكن كل
 واحدة منها تتجه باختلاف الاخرى للتعبير عن
 هذه المشكلات ، مثيرة ضجتها الذاتية وغبارها
 الخاص ، وان كان الحب هو المطلب الاول لابطال
 « قصص » و « العالم المسحور » ويتحققه يتسنى
 لهم ال حد بعيد ان يعيشوا كأفراد متزينين
 ومنتسجين مع عوالمهم المفروضة عليهم .

فمعد وليد اخلاصي تنتهي ازمة ابطاله بوجود
 المرأة المقامرة والوفية - حتى ولو كانت في خريف
 العمر - : « نظرت من النافذة . كان اطارها
 يجمد من خلفه منظر الاشجار الساكنة وهي تنتصب
 في جوف حديقة المدينة . تمثلك لي حياتي في
 السنوات الساكنة الأربع حديقة ميتة ، لوحة
 رسام فاشل » . هكذا كان يلوح العالم لبطل « لوحة
 زيتية على الرف » وهو يجتدق من نافذة غرفته
 بشكل ممل ، ولكن ما ان تطل عليه « واحدة »
 من زائرات اهل وفتح معه حديثاً عابراً عن
 الموسيقى حتى يعترف لنا بقوله : « تطلعت الى
 النافذة في نظرة خاطفة . تفاديت رقة جمالها
 الفريية . لكن المنظر الذي يحتويه اطار النافذة
 قد اصابته رعشة خالفة . وانتشرت الالوان بين
 اشجار الحديقة وممراتها » . ثم يتمنى بعد ذلك
 مباشرة وقبل ان يعرف شيئاً ما عن هذه
 « الزائرة » ان يعترف لها بحبه ، ان يركع

بطلها مأساة من جراء خطأ اخلاقي اقترفته امه عندما كانت خادمة ، ولذلك لم يجد شيئاً يقبل به هذا العار سوى الدم والوقوف امام منصة القضاء .
لقد تصرف بطلا « الطحلب » و « ع تابع

ل س » كبطلين شرقيين اذ لم يجدا امامها حلاً للمشكلة الا استعمال المدينة . اما بطل زكريا تامر في قصة « تلج آخر الليل » فقد طفت انسانيته على شقيقته وعالج المشكلة بحوار صامت يبدأ بالرغبة العارمة للثأر وسفك الدم . ولكن شعور البطل يأخذ بالتأرجح تدريجياً بين الثأر والغفران ، وكان موسيقى الكلمات في هذه القصة ، مع ذكريات البطل العذبة والحنونة مع شقيقته ، لعبت دوراً كبيراً في نزع عقدة الثأر من نفسه عندما بدأ يحلم انه التقي باختة الهاربة في سوق الخضار ورافقها الى حيث تعيش مع زوجها الفقير الذي احبته وضحت باهلها جميعاً من اجله ، ويده تلمس المدينة ذات الشفرة الحادة لينتهي من « الموضوع » بأسرع ما يمكن وهي تتمغم بصوت هلع خافت « اخي ... اخي » . وفتاة يتذكر طفولتها معاً عندما جاءت اليه ذات مرة باكية لان ابن الجيران ضربها ، وكيف اسرع الى الحارة مباشرة وضرب ابن الجيران . لان يقتلها ، وسيقول للمدية : موتي بعيداً عن الدم .

وهكذا نجد ان جراً من المشاعر والتبريرات اللا معقولة في ذهن كل من بطل « الطحلب » و « ع تابع ل س » قد اصبح معقولا وطبيعياً في ذهن بطل « تلج آخر الليل » .

شخصية البطل في قصص زكريا تامر غنية ، فهي عالم حي يربض في البقعة الصغيرة من النثر . والبطل فيها يعاني مشكلات كثيرة : الوحدة ، والحرية ، والخيبة المريرة ، التي تلدغ بسياطها اجساد الاباطال بلا رحمة ، كما في « الوجه الاول » و « الجزيرة » ، اذ يصور لنا في القصة الثانية العالم الارضي ، عالم المذنبين ، عالم العقاب الساموي : « لماذا ولدت ما دمت بريئاً ؟ جئت الى هذا العالم كي تهلك ، وتهلك دون احتجاج ،

قصصه - يبرر لنا موقفه على لسان بطل اقصوصته « شكراً » حين تتمعد الامور بينه وبين الفتاة التي يجبا ولا ييوج لها بذلك ، مما يؤدي الى انتحارها : « أكان لي ان ادرك انا سليل الوحل ونتاج اسرة من الجنون والموت اية هوة قد احقرتها بيدي ؟ »

اما الحب عند زكريا تامر فهو يتخطى الجنس والحرم الى عالم اسطوري سحري ، الى عالم الحب الخلاق ، الذي ينزع الى الطفولة والبحر والسفر وصنع الاحلام في الغابات لتكون زهورها الاليفة والفريدة . الحب في مجموعة « ربيع في الرماد » اكثر شفافية وانسانية مما هو في « قصص » و « العالم المسحور » ، وحينما يلبس لغة الشعر الرائعة التي تميز اسلوب زكريا تامر بها ، يبرز الحب في اطره العذبة رقيقاً ومتوهجاً ، بعيداً عن جو الوصال والفراق التقليدي . الحب هنا ضرورة لعوالم اخرى تستقي منه وتنمو من لعابه ، ومع انها قد تضطرب لفقدانه الا انها لا تنهار حتى اللحظة الاخيرة ، كما في « القرصان » . مع العلم ان هذه المجموعة نخلت الى حد ما من قصص الحب المفصلة والقائمة بذاتها كما في « قصص » و « العالم المسحور » ، ولذلك لا يلتقي زكريا تامر مع زميله في هذا المجال .

ان اللجوء الى العنف تجاه الانحرافات الاخلاقية ، كما تصوره قصة « الطحلب » لوليد اخلاصي ، هو احدى مشاكل هذه المجموعات . يشك بطل قصة « الطحلب » بان لامة علاقة مربية مع جارهم القصاب ، فيربض لها في مكان ما ويتبعها وهي ترتدي ملاءتها البلدية ليمزق جسدها تمزيقاً بالدية التي يحملها ، ولكن عندما يمود الى البيت يجد امه بانتظاره : فالمرأة التي قتلها كانت امرأة اخرى ترتدي ملاءة بلدية في ذلك الليل المظلم . ورغم ذلك فان هذه المفاجأة الدراماتيكية لا تغير شيئاً من موقف البطل تجاه عقدة الاخلاق . « ع تابع ل س » محمد حيدر ، يماني أيضاً

القارىء عن مصير ابطاله ولو بضعة ايام بعيداً عن الحاضر ، في الوقت الذي ارتوى فيه من معرفة ماضيه وحاضره . ولكن هذا لا يمنع من الاشارة بان القارىء يستشف من السطور الاخيرة لكل قصة ان الماضي فقط هو عالم ابطاله .

اما ابطال وليد اخلاصي فانهم يبدأون غالباً واقمين ، ولكن ما ان يبدأ الكاتب بالتدخل في شؤونهم وتوجيه عواطفهم حتى يفقدهم هذه الواقعية .

ولذلك نرى ان كلا من زكريا تامر ومحمد حيدر ووليد اخلاصي منفصل عن الآخر بكأبته ويؤسه الفننين ، ويسمى جاهداً لان يكون له عالمه الادبي الخاص ، الذي توصل اليه كل من تامر وحيدر ، اما اخلاصي فما زال يبحث عن باب له او نافذة .

سنيه صالح

انت مجرم وكنا نراقبك منذ امد طويل ...» كما يفاجأ القارىء ويذهل عندما يرى بان الكاتب تقصد وبطريقة بارعة وضع سليمان الحلبي بطل القصة في عالم ، وشقيقه والديه في العالم المقابل ، حيث تتفاقم عزلة في اشد الاوقات حرجاً وهو على اهبة الموت .

ويبدو جلياً تأثر زكريا تامر بالدين والمعجزات السابوية والخرافات الشعبية ، كما في «جنكيز خان» حيث يقول: « وكان ثمة مدينة صغيرة بلا اسوار ، اهلها يؤمنون ان الله موجود في كل مكان ومقتنمون ان الله خلق من الملائكة عدداً لا يحصى ، والملائكة من نور ، ولهم اجنحة بيضاء ، ولا تراه عين البشر . ويخضع كل شخص حي لمراقبة اثنين من الملائكة يسجلان حسناته وساوئه .» وهذا مما يجعل مواضعه فضفاضة ومتسمة حتى يبدو اسلوبها اكثر ضيقاً من استيعابها .

اما عند محمد حيدر فالاسلوب يثير تساؤل

جبران خليل جبران

Kahlil Gibran, His Background, Character and Works
by Khalil S. Hawi. AUB Oriental Series, Beirut 1963

التاريخي والنهضة الادبية ، فتوسع فيها المؤلف توسعاً بارزاً لكي يوقع الادب الجبراني في زمانه ومكانه جرياً على السياق الاسنوبي ، ثم ناقش في الفصل الثالث الابحاث التي كتبت عن جبران فتوقف بتوسع خاص عند كتب ميخائيل نعيمة وجميل جبر وباربره يونغ . اما الفصل الرابع فتناول نشأة جبران وتطوره واخلاقه . وعالجت الفصول الباقية بتحليل رصين افكار جبران ومؤثراتها واسلوبه الكتابي والاسباب التي اثارت شهرته

ظهرت بالانكليزية دراسة الدكتور خليل حاوي عن « جبران خليل جبران في اطواره التاريخي واخلاقه وآثاره » ، وهي الاطروحة التي قدمها في جامعة كيمبردج لنيل شهادة الدكتوراه في الاداب . فما مقومات هذه الدراسة الجامعية وما الجديد الذي اتت به ؟

ينطوي هذا البحث الموضوعي العلمي على مقدمة وثانية فصول . وقد تناول الفصلان الاولان ، باسهاب وتدقيق ، الاطار القومي